في ملتقى المستقبل الثقافي الأبداعي:

الكاريكاتير .. وحقوق الانسان

جلال حسن

أقام ملتقى المستقبل الثقافي الابداعي معرضا لرسوم الكاريكاتير، تضمن لوحات تتناول بالنقد الفني الشخصيات السياسية والفنية والأدبية البارزة على الساحة المحلية، ابتداء من شخصية رئيس الدولة ، وانتهاء بشخصية الفنان فؤاد سالم!، كما تخللت المعرض محاضرة قيمة للفنان حمودي عذاب(رئيس الجمعية العراقية لرسوم الكاريكاتير)، وحوارات ومداخلات مع الجمهور الذي ابدى اعجابه، وملاحظاته على هذه التجربة الديمقراطية الجديدة..افتتحت الجمعية معرضها على قاعة الملتقى ليتسنى للجمهور مشاهدة الرسوم والتمعن فيها قبل المحاضرة وطرح الأسئلة والأستفسارات على الفنان المحاضر.

الكاريكاتير ..فن المبالغة

بدأ الفنان حمودي عذاب محاضرته، معتبرا أن اساس هذا الفن هوالتضخيم والمبالغة التي تشوه الأحداث والشخصيات لتولد الضحكات التي تهدف الى جعل المتلقي يمعن التفكير فيما يشاهد.
حمودي اعتبر اشعار ابن الرومي ، لاسيما وصفه للأحدب، وما أورده الجاحظ في كتابه البخلاء امثلة تاريخية، قبل وجود الكاريكاتير، على نزعة الأنسان نحو المحاكاة الساخرة والمبالغة..والكاريكاتير، كما قال عذاب، فن المبالغة والتضخيم لكن بوسائل جديدة، كالخطوط والريشة، هو فن المحاكاة، فن النكتة المرسومة، فن السخرية التي تشير الى الجرح وتفتحه وتنظفه دون وقوع قطرة دم واحدة!

تاريخ الكاريكاتير

وقال الفنان عذاب: أول من رسم صورا باعثة على الضحك كان الفنان الأيطالي(انيبال كاراتشي١٥٦٠_١٦٠٥) الذي رسم بعض الشخصيات المحيطة به، ومن اسم هذا الفنان الرائد اشتق أسم هذا الفن الجديد الذي لم تعرفه الأنسانية من قبل.جاء بعده الفنان الأيطالي أيضا(بيتر وجيزي١٦٧٤-١٧٥٥)الذي جعل الكاريكاتير احد الفنون الشعبية، واتسمت رسومه بخفة الدم والقسوة الشديدة في آن واحد!
وتحول المحاضر الى بريطانيا ورسامها الكاريكاتيري جورج تاوتسهند، الذي استخدم هذا الفن سلاحاً سياسياً، وتابع مدارس الكاريكاتير في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ولاحظ أن مدرسة الكاريكاتير الأمريكية تتميز بالسطحية، ولا تهدف لأبعد من الأضحاك، بينما تعدت المدرستان الفرنسية والأنكليزية حدود التضخيم والأضحاك الى ممارسة النقد الأجتماعي والسياسي.
أما في العالم العربي، فمعظم فصول قصة الكاريكاتير حدثت في مصر، وكانت البداية مع مجلة(أبو نظارة)النقدية الفكاهية التي أصدرها يعقوب صنوع، واستعان فيها برسوم كاريكاتير لفنانين ايطاليين.بعد ذلك أشار الفنان عذاب الى مجلة(الكشكول)التي حوت رسوما بديعة وراقية للفنان الكاريكاتيري الأسباني المتمصر(جوان سانتيز)واعتبرها واحدة من اهم المجلات التي اهتمت بفن الكاريكاتير في ذلك الوقت.

الكاريكاتير في العراق

واضاف عذاب : ظهر الكاريكاتير العراقي عام ١٩٢٩وكان ابرز رساميه الفنان(صاروخان)ذو الأصل التركي والنازح من مصر، حيث تصدرت أعماله الكاريكاتيرية جريدة القرندل والكناس وحبزبوز.بعد ذلك ظهر رسامون كبار أمثال حميد المحل ونزار سليم وعند انبثاق ثورة ١٤تموزعام١٩٥٨وتأسيس الجمهورية العراقية ظهر رسامون آخرون أمثال الفنان غازي الخطاط الذي جمع أعماله الإبداعية في كراس رائع، جسد فيه الأمثال الشعبية، وكانت رسومه تتصدر الصحف اليومية والأسبوعية.
استمر الفنان عذاب بمتابعة رسامي الكاريكاتير العراقيين فذكر منهم عادل شنتاف وعامر الجليلي وبسام فرج ورائد نوري، الى أن وصل بنا الى فن الكاريكاتير اليوم، وأكد على عدم وجود مدرسة كاريكاتير عراقي شاملة، وعزا ذلك الى وجود اساليب عديدة ومتنوعة، بالأمكان جمعها وضمها، وهذا الحال ينطبق على الكاريكاتير العربي، اذ لاتوجد مدرسة كاريكاتير عربية مميزة، على عكس دول العالم الأخرى التي وجدت فيها مدارس مميزة كالمدرسة الأنكليزية والفرنسية والأيطالية.

الكاريكاتير..وحقوق الأنسان

تحدث المحاضر عن جمعيته، وعن معاناتها، عن الرسامين وما يتعرضون اليه من ضغوطات وتهديدات مهنية واجتماعية، تطال امنهم وحياتهم، كما أشار في محاضرته الى الفنان الكاريكاتيري العربي العالمي ناجي العلي، الذي اغتالته اسرائيل ، وهو صاحب الشخصية الكاريكاتيرية المعروفة (حنظلة).ناجي العلي أخطر على اسرائيل من ياسر عرفات، هذه المقولة نسبها الفنان عذاب الى وزير الدفاع الأسرائيلي موشي دايان، مستدلاً على أهمية هذا الفن عند غيرنا، وعلى عمق تأثيره في الفرد والمجتمع.
على رسامي الكاريكاتير ان يكونوا في طليعة المدافعين عن حقوق الأنسان، لأنهم بذلك يدافعون عن أنفسهم وعن فنهم..عليهم أن يسخروا من الأوضاع المأساوية التي يمر بها أبناء الشعب العراقي..أن يبينوا مدى الحرمان الذي عانوا منه في الماضي والحاضر..أن يعرفوا هذا الأنسان بحقوقه الأنسانية..ان يعملوا معه لأستحصالها بالطرق الحضارية المتاحة.

المداخلات

ما ان أنهى الفنان المحاضر كلمته حتى بادر الحضور لتسجيل اسمائهم رغبة في التعقيب، أو استزادة من ايضاحات.وقد كان لرحابة صدر مدير الجلسة (احمد الثائر) دور كبير في تشجيع الحضور، وتنظيم الوقت المتاح لكل واحد منهم.
الشاعرعبد الستار الأعظمي، تساءل في مداخلته عن سبب انحسار تأثير فن الكاريكاتير، فبعد أن كانت رسومه السياسية تثير حفيظة جمهور عريض من المثقفين وأنصاف المتعلمين، في الأيام السابقة من تاريخ العراق، لم نعد نجد له تأثيرا يذكر اليوم..الأعظمي تساءل مرة أخرى :على من يقع اللوم؟ على المواطن الذي لم يعد مباليا بما يجري في بلاده؟أم على الرسام الذي لم يستطع اثارته؟أم على كليهما معا؟
الكاتب أحمد الثائر شارك الأعظمي تساؤلاته وبين ان القضية تتعلق بالفنان والجمهور معا، كما أشار الى الضجة الكبيرة التي أحدثتها الرسوم الكاريكاتيرية التي اساءت الى شخصية الرسول محمد (ص)للأستدلال على قوة تأثير هذا الفن لو أحسن استخدامه.
وجه محمد وهيب فتاح الى المحاضرهذا السؤال:هل يعتبر الفنان حمودي عذاب الكاريكاتير مقالة مرسومة؟بينما عقب الكاتب قاسم حسين موزان على المحاضرة ككل وأشار الى توفر أجواء الحرية التي أتاحت للفنان عذاب أن يتجرأ على تناول الشخصيات القيادية الأولى في البلاد ، وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ العراق!فمثل هذا التناول كان من المحرمات الى عهد قريب!
الفنان المسرحي جبار محيبس دعا فناني الكاريكاتير الى الأبتكار والتجديد، والى خلق مدرسة عراقية جديدة بعيدة عن التكرار، بينما جرت مداخلات أخرى شارك فيها الكاتب عبد الله نجم عبود والأستاذ حمزة طاهر والكاتب عباس فاضل حولت جلسة الحوار هذه الى دعوة مفتوحة للأبتكار والتجديد ، وتخطي عقبات المحلية والأنغلاق الى مرحلة الأنفتاح والعالمية، واستثمار فرصة الحرية المتاحة الآن على الرغم من شوائبها ومنغصاتها.
اختتمت الجلسة بشكر القائمين على ادارة الملتقى، والتذكير بجلسة الملتقى القادمة ، وهي جلسة حوارية حول أنماط الشعر ..صراع ام حوار؟، يشارك فيها الشعراء وليد حسين واحمد عبد السادة ويونس العراف.

بالتخوم والزوايا

سهام جبار

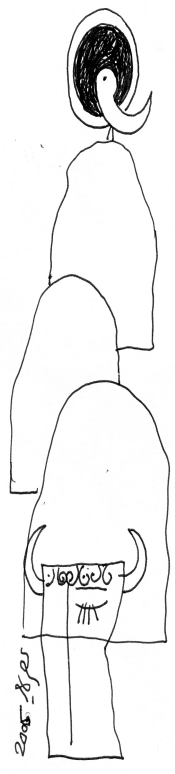

وركضي بالتخوم وبالزوايا
وأصواتي وأسمائي
وأين ذلك سوى
في هذه الأرض
وفي هذه السماء
هيا لأنصت
وما من سوى إنصاتي
هيا لأحدق
وما سوى تحديقي
من أين أنفض
هذه البلاد؟
وإلى أين أعبرُ
بهذه الأنقاض؟
أنا الصارمة القوية
على حديد سكك هذه النار
أصل وانقض وصولي
أتكلم وأمحو
هواء وممحاة
فليس هذا اللون
ليس هذا الرقص
المترسب في جثتي
وكيف سأدفن هذا الموت؟

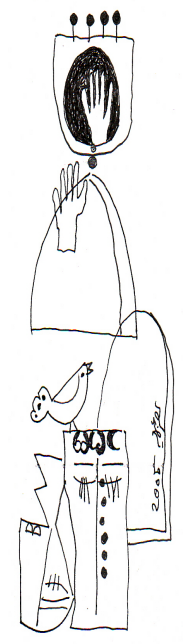

ليس هذا اللون
وليس هذا المذاق
ليست الرقصةَ
لقد تشعبت الجذور
إلى كل هذه الأوراق
ونَمتَ الأرضِ بالموتى
نمت السماء بالإله
وتعدّيتُ معهم الحدود
وما ولدتُ من جديد
على عينيّ ضوءٍ بائت
وفي يديّ ملمسٌ منصرم
وأحلامُ أبدٍ
في سلالِ ذكرى
أنا المعظمةُ البعيدة
والإلهةُ القديمة
أنا الأنثى المتبقية
من ظل خطوي
وجراتِ أقلامي

٨آذار ٢٠٠٧

مثقفو بغداد

عبد الخالق كيطان

هؤلاء هم.... بكامل قيافتهم... هياجهم وأمنياتهم الفقيرة يروحون ويجيئون في شوارع مكتظة بالمفخخات والأحزمة الناسفة... عباقرة بغداد الذين فاقوا في قدرتهم على الحياة،معقدي الستينيات... ومؤدلجي السبعينيات.. وتجريبيي الثمانينييات، وحائري الستعينيات... عباقرة بغداد نشطاء في فهم الجمال حتى ولو كان يقف على بقايا سيارة مفخخة... هادئون بالرغم من سحب الدخان التي تظللهم... حالمون بالرغم من انسداد شوارعهم بالكونكريت... سكارى بالرغم من انتشار فتاوى القتل... عباقرة بغداد يغلقون صحيفة ليؤسسوا العشرات بدلاً منها... مكاتبهم تضج بالشعر... هل رأيت شعباً يغطس في بحيرات الدم وينتج مثل هذا الشعر؟! اذهبوا إلى عبد الزهرة زكي وأسألوه عن قصائده العصماء في هذا الزمان الملتبس... اسالوه عن قصيدته، خاصة التي رثى فيها المتنبي... عباقرة بغداد لا دخل لهم بكل ما يجري، وهم في الأن ذاته من يتحمل المسؤولية، بل من ينزف بدلاً عنا.. الارهابي القذر، أوقف سيارته بالقرب من مبنى الجمعية، جمعية المصورين، أو الرسامين، أو المسرحيين.... لا فرق... ثم ضغط على الزناد.. الارهابي القذر لا يعرف أن في رأس شفيق المهدي ملايين الأفكار التي هي أشرف من رأسه العفن... الارهابي القذر الذي يريد أن يقتص من الأكاديمية لا يعرف ماهود أحمد... ولا فاضل خليل ولا صلاح القصب... الارهابي القذر الذي يراقب مبنى الجريدة لا يعرف أن علي حسين يستطيع أن يؤسس جريدة بلمح البصر.. يكفي أن يلتقي بعلاء المفرجي وفلاح الخطاط لتصدر في اليوم التالي جريدته الجديدة.. الارهابي القذر المدعوم من دول لا حصر لها يظن أن الحياة من الممكن أن تتوقف في ساحة التحرير... غشيم هو اذ يعتقد بذلك... فجواد سليم وحماماته يحمون المكان من غدره.. غشيم هو لانه لا يعرف فائق حسن.. عباقرة بغداد الذين ما انقطعوا عن صياغة مسرحيات مختلفة، وأمامكم كاظم النصار ورائد محسن... وحدهم من يحق لهم أن يمضوا بضع ساعات على شواطئ البحار من اجل الاستجمام لا من أجل مراقبة الفتيات اللاتي يلعبن كرة الماء الشاطئية... ليس هناك من عاقل سوى عباقرة بغداد... الذين يذهبون إلى الجامعات في صباح كل يوم... يبحثون عن سينما في الحر المفجع.. أغلقها الظلاميون... ليس مهماً... سيفتتحون العشرات غيرها... ماذا عن المسارح؟ صالات الرسم والرقص والموسيقى؟ عباقرة بغداد لهم قدرة عجيبة على ابتكار الأماكن المختلفة وهذا قاسم سبتي خير مثال.. لماذا لا نذهب إلى النهر.. سأل كاظم غيلان جماعته من نزلاء الفنادق الرخيصة.. النهر هو الآخر يغص بالجثث... وعلى ضفتيه شيد المتجبر قصوره التي صارت مباول... المطربون فروا.. وظل حسن بريسم يغني على خطى رياض أحمد المذبوح.. لا بد من الغناء.. إنهم عباقرة.. والعباقرة يحبون الغناء حتى ولو كان على شكل نحيب دام.. آه كم أحسدكم على عبقريتكم الفذة.. تلك التي تجعل منكم كائنات مستحيلة.. ما نفع الكائن إن لم يكن مستحيلاً؟ حدثني علي حسن الفواز عن الكتابة.. كيف أنه يدمنها على وقع القذائف.. عباقرة لا يأبهون بعقوق الأصدقاء في المنافي السعيدة.. الذين يبخلون بكلمة.. مجرد كلمة.. عباقرة يؤسسون لثقافة حب.. وتسامح.. وسط أكوام من الجثث .. أكوام من الكراهية.. عباقرة بغداد تكفيهم سجارة وكأس عرق لينتجوا أحلى الكلام.. تكفيهم خشبة مسرح حر ليؤثثوا فضاء من الانسانية في بحر لا يعبأ إلا بالموت.. وجيه عباس؟ لا يعرف غير الضحك الدامي... سلمان داود محمد؟ أحرق قميصه احتجاجاً... خالد جمعة؟ يرى في فضاء الصدرية الدامي مكاناً للعيش..كريم شغيدل؟ لا يبدل القصيدة بالهراء... أحمد الشيخ علي؟ ينوح على ضحايا كربلاء... محمد غازي الأخرس؟ يستجلي الحياة من باعة الأرصفة... جلال حسن؟ يبكي على بقايا شارع المتنبي...أحمد عبد الحسين؟ أبدل الثلوج الكندية باللهيب البغدادي... آه كم هم عباقرة ... عباقرة بغداد الذين يؤثثون لنا مستقبلاً مكتنزاً بالألم.. بالصبر والحنين.. يمرون في الشوارع ذاتها كل يوم.. في الرشيد والسعدون.. في المتنبي وسوق هرج.. في الكرادة والوزيرية.. يطلقون عصافيرهم الملونة دون أن يأبهوا بالتهديدات.

الفن التشكيلي الغربي.. إلى اين؟

موسى الخميسي

ظاهرة التراجع الكبير في سوق البيع والشراء للأعمال الفنية والتي تصاحبها ظاهرة غلق الكالريات الفنية ومحلات بيع اللوحات الفنية التى كانت تنتشر في طول البلاد وعرضها،أصبحت تقلق العديد من الدارسين والمتخصصين والنقاد الفنيين ليس في إيطاليا وحدها، وانما في عموم بلدان أوربا.
فسر العديد من الدارسين الإيطاليين ان ظاهرة التراجع التي أصابت تجارة الفن التي وصلت ذروة نجاحاتها عام ١٩٨٩،وحققت مبيعات تجاوزت البليون دولار في تلك السنة، كانت نتيجة الخوف الذي ساد في مطلع التسعينيات على ضوء حدة الصراعات التي شهدتها العديد من مناطق العالم، وبالذات منطقة الشرق الأوسط التي تعد من الأسواق المهمة في تجارة الأعمال الفنية.

الصورة الاخرى للسوق!

وقد تعرضت دور المزاد وصالات العرض الشهيرة للنقد الشديد، فهذه المؤسسات كانت في السابق تقدم للبائع ضمانة بيع العمل الفني لقاء مبلغ معين، وفي الوقت ذاته تقدم للمشتري قرضا يتمكن من خلاله من الشراء، وفي حالة عدم إيجاد من يشتري العمل الفني فان دار المزاد او صالة العرض تدفع الثمن الذي ضمنته للبائع ثم تحتفظ به لعرضه في مزاد آخر او لزبون آخر.وكانت هذه المؤسسات تقدم للزبون المشتري ٥٠ في المائة من سعر اللوحة وبفائدة أعلى من فوائد البنوك، ومثال ذلك القرض الذي قدمته مؤسسة (سوتبي) الاميركية للمزاد والذي بلغ حوالي ٢٧ مليون دولار لاحد الرأسماليين الذي اشترى لوحة(زهرة السوسن) للفنان الهولندي فان كوخ، حيث وصل سعر هذه اللوحة إلى ٥٣,٩ مليون دولار.
دخل اليابانيون هذه اللعبة فاستثمروا أموالا ضخمة، وهم عادة يشترون الاسم بغض النظر عن مستوى العمل وأهميته، فأسماء مثل بيكاسو او فان كوخ او مونيه او رامبرنت.. الخ تبدو لهم وكأنها أحلام ملتصقة بالثراء، فهي وصفات لعافية رأس المال لاتعرف الاختناق ولا الشيخوخة حتى وان احتضرت الثقافة. استثمارات اليابانيين في هذا المجال تضاهي والى حد كبير الاستثمارات في أسواق البورصة او تلك التي يوظفونها في المشاريع الصناعية، وتبلغ هذه الاستثمارات اكثر من ٣٤,٨ بالمائة، وهذا يعني ان الاميركيين فقدوا مواقعهم الأولى في صدارة هذه السوق الرابحة، اذ ان قواتهم الشرائية بدأت تضعف كثيرا أمام العملاق الياباني الجديد الذي دخل حديثا إلى هذه السوق.
ترى ما هو السبب وراء هذا الانحسار الشديد الذي يجابه سوق الفن بعد ان وصلت أثمان اللوحات إلى أرقام خيالية؟ وما هو السبب في غلق أبواب آلاف الكالريات وصالات العرض ودور المزاد في أوربا؟ وما هو السبب الحقيقي الذي يكمن وراء عملية التأزم والتراجع الذي يعيشه سوق البيع والشراء للقطع الفنية؟
قبل الإجابة عن هذه الأسئلة لنتذكر لوحة الفنان الأسباني السريالي سلفادور دالي التي رسم فيها الكرة الأرضية على شكل ضفدعة كبيرة تدخن سيجارة اميركية، فكل شيء هنا في الغرب يشير إلى الانحطاط، والناس في كل مكان حين كانوا يندهشون بالفن كصنعة قادرة على إخفاء التوترات الغامضة والعميقة التي تعيشها البنية السيكولوجية للزمن وعلى أساس ان الفن ظاهرة او شكل من أشكال النشاط الاجتماعي تتحدد أهميته كعامل أساسي في النشاط الذي يكون في مجمله ثقافة الإنسان ويرتبط ارتباطا مباشرا بمختلف القوى الفاعلة في تاريخ تطور اي مجتمع من المجتمعات الإنسانية.
وتجتاح العالم الغربي موجة غموض تكتنفها الخيبة واليأس وعدم الانسجام والعزلة، وهي الظواهر الأكثر وضوحا في حياة الناس اليومية، ويقابل هذه الظواهر الملموسة تحطم وانكسار للعديد من المؤسسات والظواهر الصحية في حياة هذه المجتمعات نتيجة انتشار وباء الوحدة وتمدده على كافة المستويات. فالجميع يتظلم من الوحدة والعزلة وبهذا تفقد هذه المجتمعات الروابط العاطفية الخصبة بين أفرادها. ومن أسباب ذلك ان هذه المؤسسات تساعد في تفكيك جماهيرية المجتمع وتماسكه عن طريق التركيز على الأختلاف، وتجعل علاقة الفرد بالآخرين علاقة متشابكة ومعقدة يشوبها الحذر والخوف.

الرافضون

وضمن أجواء هذا الانهيار العميق الذي يعيشه الغرب فان طبيعة النظام السياسي للسلطات،و الأحزاب السياسية تساهم هي الأخرى في عملية الانحطاط الكبير، فالأحزاب السياسية المسيحية والعمالية والليبرالية أصبحت من طراز عتيق في بنيتها وفي أيديولوجياتها،حتى تبدو وكأنها صورة غير واضحة لبعضها البعض، فالبرغم من التباين فيما بينها، فإنها تتسابق بينها لتبدي التزامها وتمسكها بالنظام الصناعي المضمحل، وابرز مثل على ما نقول هو ظاهرة التناقص الحاد في عدد المشاركين في الانتخابات البلدية والبرلمانية والاستفتاءات الشعبية التي تنظمها السلطات في عموم البلدان الأوربية، للحد الذي اصبح هؤلاء يشكلون جيشا كاملا تطلق عليهم تسمية (الرافضون) حيث فاق عددهم في بعض دول أوروبا اكثر من ٥٠ في المائة.
ويضاف إلى ما ذكرناه فان العالم حاليا يشهد في كل مكان، تجار ومرتزقة الحضارة الغربية لدعوة واجبار شعوب العالم على الدخول إلى سوق الإنتاج والاستهلاك اكثر فاكثر، حيث توسعت هذه السوق الاستهلاكية لتتكيف مع نمط الحياة الجديدة والتي يصرف أنظار الملايين عن واقع الحياة الزاخرة بالتناقضات مما يجعل ذلك الفرد العادي عالماً من الوهم تخلقه ثقافة زائفة تبني نفسها على القوة والثراء والأوهام العاطفية للحد الذي أصبحت مثل الملجأ الذي يحمي هذا الفرد من متاعب الحياة كالبطالة، وتصاعد الأسعار، وتزايد وطأة الضرائب، وعدم ضمان المستقبل.

ثقافة الدرجة الثانية

وتسعى الفلسفة الغربية إلى تبرير جدوى ثقافة الدرجة الثانية، فهي تزعم ان إنسان الزحام المحكوم بما يقدمه مجتمع الاستهلاك، مسحوق بشكل يغدو فيه الفن الحقيقي بعيدا عن متناول اليد، وصعب الفهم، لان جيشا من الحرفيين واساطين صناعة اللهو ينتج فنا كاذبا حسب وصفات محددة تجعل منه قادرا على تحقيق تجارة مربحة ذات حدين، فهي من جهة مصدر أرباح خيالية تجنى من كل أنحاء العالم، وهي من جهة أخرى تؤدي وظيفتها الاجتماعية في تربية إنسان سلبي لا يكترث بالأوضاع السياسية وقواعدها التي عليه ان يقبلها دون قيد او شرط. ان مغزى وجود الإنسان الغربي بالنسبة لهؤلاء، يختصر في الاستهلاك واللهو ويصبح مستعدا لتقبل كل شيء من اجل تحقيق نجاحه الشخصي. ومثل هذه الثقافة الزائفة التي وصفها الكاتب الإيطالي الراحل البيرتو مورافيا بأنها(أفيون الشعوب)، ليست سياسة البتة، بل هي تمارس بشكل هادف ويقظ وخبيث.
ان الفنان الغربي الذي اغتنت أمامه المناحات العقلية ومعها المدارك الحسية والفكرية والبصرية والفلسفية، وجد نفسه أمام تراكم ثقافي متعدد المصادر، وبدا له ان عملية التقدم التكنولوجي التي شملت جميع نواحي الحياة، جعلت الفن في مرحلة ادنى منه، ويضطره في الوقت نفسه إلى اللحاق بذلك التقدم بخلق صناعة تطبيقية تستوحي نصفها من العلم والتكنولوجيا، ونصفها الآخر من الفن من اجل تكوين بنيان جديد. ويبدو ان الحلول الحقيقية لهذه المواءمة لم تتوفر بعد، فاللوحة تخلو من المضامين، وهي تتراوح على السطح التكنيكي، وبدلا من ان تجد الحلول طريقها من داخل بنية المجتمع الذي فرض عملية البحث عنها، نجد ان الفنان الأوربي يلجأ إلى حلول من الخارج، من التأثيرات بمنجزات الفنان الشرقي، وفن إنسان الغابة، والفنون الأفريقية، وفن الطفل أيضا. ان ما كان من تأثير للفن الياباني على الانطباعية الفرنسية في بدايات القرن، يصير اليوم من نصيب الفن الشرقي والإسلامي خصوصا،فهما اكبر مصادر الإلهام الأوربي اليوم، ذلك ان الفنان الشرقي بشكل عام مازال مأخوذا بحس الجماعة وبالأحداث العاصفة التي يعيشها مجتمعة والمكتنزة بالآمال والآلام والهموم في الوقت الذي يئس الفنان الغربي من الجماعة ومن فكرة التغيير واحتلت(اناه) مركز الصدارة.

الموضوع والمادة

لقد تحرر الفنان الغربي من الموضوع تماما وتبدلت رؤيته الفنية وبات يتعامل مع الشعور والحس الإنساني بعيدا والى حد كبير عن واقعه وظروفه التاريخية والاجتماعية على أنها تعد انعكاسا لطبيعة حياته، لقد ألغى الفنان الأوربي صلته بهذا الواقع وارتبط مباشرة بالمادة ليحولها إلى نتاج فني بطرق مختبرية حتى أصبحت هذه الطرق هي الأساس لعملية الخلق الفني. والطابع الارتجالي في الفن الأوربي، جعل من الفنان يدور في مواقع الرفض القاطع لان يكون الفن انعكاسا لواقع ما، او تكرارا لهذا الواقع او لنموذج معين، فهو يقف بحزم ضد الموروث الفني، إلا انه يدور داخل دوائر الاختيارية والتي يلعب بها عامل الصدفة حيزا كبيرا.

الشعر.. وأوربا

ومثلما تعيش ظاهرة الشعر في أوربا ومنذ سنوات عديدة من لفظ أخر أنفاسها، حيث أصبحت في الوقت الحاضر منذورة فقط للبحث عن متنفسات جديدة لها ضمن الاختناقات الثقافية التي سحبتها أعمدة دخان المعامل الصناعية، فان الفن التشكيلي هو الآخر على ما يبدو يعيش هذه الظاهرة، ونحن لايمكن ان نظل مأخوذين بمتاهات من المشاعر الصوفية في هذا الميدان الذي يتميز بفرديته وتنوعه وتحولاته المستمرة، فالمسؤولية الأخلاقية تجردت تماما من مهمة الفن، ولم يعد يجلب الطمأنينة والدعة للإنسان الأوربي، ذلك لان قدرا كبيرا من المتغيرات طرأت على الشعور والأحاسيس الإنسانية وغيرت من عملية التأمل وجردتها من العمق والدلالة والحيوية، كما جردتها من دلالتها الجمالية الأولى، واصبح الفن هنا يعيش عزلة متزايدة في حياة الناس، ولم يستجب له الا بعض من يطلق عليهم(الصفوة) والتي ارتبطت بالفن وارتبط بها على أساس انه جزء مكمل من اتكيتها الخاص وبكونه المحفز على الحياة التخيلية لديها.
الصورة التي استعرضتها تبدو كالحة تماما، إلا أننا يجب ان نتذكر بان الغرب يعيش حقبة محتضرة من تاريخه الروحي، فقد ولت وللابد تلك الحقب التاريخية التي ارتبط وانشغل بها الفن بصور أخلاقية بحياة الناس، سقط الفن في انتقائيته لفئة محددة جدا من الناس، وان سوقه التي انتعشت بجشعها وأرباحها، تعطلت لان الواقع الأوربي يعيش حاليا حالة هروب جماعية كبيرة على المستوى الروحي والاتجاه صوب التصحر الروحي في كل شيء. العالم هنا لم يعد يحمل في ثناياه أية أهمية للقيم الجمالية التقليدية لما كان يسمى والى وقت قريب بالمثال الكمالي، بل صنع قيما جمالية جديدة مغايرة تستند إلى دمار كل العناصر التخيلية التي حمل لواءها الفن التشكيلي طيلة مئات السنين، فالتكنولوجيا وقعت على رأسنا وهي أشبه ما تكون بصاعقة نزلت من السماء، اذ أحدثت انهيارا كبيرا جعل العديد من الفنانين يلوذون بالصمت المدجن، وجعلت العلاقة ما بين الفن والحياة والتي يفترض بأنها ما زالت قائمة، مشروطة بهذه الدرجة او تلك.
قال الناقد والمفكر مازاي عام ١٩١٠(كلما ازداد الفن صفاء تناقص عدد الناس الذين ينجذبون أليه) فهل يا ترى وصلنا إلى مرحلة الصفاء هذه؟ وهل يمكن تسمية عصر التكنولوجيا الذي نعيشه حاليا بعصر الصفاء؟.